الوافي في الوفيات

ليل بأول يوم الحشر متصل ... ومقلة أبداً إنسانها خضل .
وهل ألام وقد لاقيت داهيةً ... ينهد لو حملته بعضها الجبل .
ثوى المتل الذي قد كنت آمله ... عوناً وخيب فيه ذلك الأمل .
لا تبعدن تربة ضمت شمائله ... ولا عدا جانبيها العارض الهطل .
لقد حوت غير مكسال ولا رعشٍ ... إن قيد القود من دون السرى الكسل .
قد كان لو سابقته الريح غادرها ... كأن اخمصها بالشوك منتعل .
لا غامزاً عند حمل المثقلات ولا ... يمشي الهوينى كما يمشي الوجى الوجل .
مكمل الخلق رحب الصدر منتفخ ال ... جنبين لا ضامر طاو ولا سغل .
يطوي على ظمإ خمساً أضالعه ... في كوكب القيظ والرمضاء تشتعل .
ويقطع المقفرات الموحشات إذا ... عن قطعها كلت المهرية البزل .
ففي الأباطح هيق راعه قنص ... وفي الجبال المنيفات الذرى وعل .
لو كان يفدى بمال ما ضننت به ... ولم تصن دونه خيل ولا خول .
لكنها خطة لا بد يبلغها ... هذا الورى كل مخلوق له أجل .
وإن لي بنظام الدين تعزية ... عنه وفي النجل عن آبائه بدل .
ومن شعر شرف الدين ابن عنين يمدح العزيز سيف الإسلام صاحب اليمن : .
حنين إلى الأوطان ليس يزول ... وقلب عن الأشواق ليس يحول .
أبيت وأسراب النجوم كأنها ... قفول تهادى إثرهن قفول .
أراقبها في الأثر من كل مطلع ... كأني برعي السائرات كفيل .
فيا لك من ليل نأى عنه صبحه ... فليس له فجر إليه يؤول .
أما لعقود النجم فيه تصرم ... أما لخضاب الفجر فيه نصول .
كأن الثريا غرة وهو أدهم ... له من وميض الشعريين حجول .
ألا ليت شعري هل أبين ليلة ... وظلك يا مقرى علي ظليل .
وهل أريني بعدما شطت النوى ... ولي في ربي روضٍ هناك مقيل .
دمشق فبي شوق إليها مبرح ... وإن لام واشٍ أو ألح عذول .
بلاد بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمول شمول .
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل .
فيا حبذا الروض الذي دون عزتا ... سحيراً إذا هبت عليه قبول .

ويا حبذا الوادي إذا ما تدفقت ... جداول باناس إليه تسيل .
في كبدي من قاسيون حزازة ... تزول رواسيه وليس يزول .
إذا لاح برق من سنير تدافقت ... لسحب جفوني في الخدود سيول .
فيا أيامي وغصن الصبى بها ... وريق وإذ وجه الزمان صقيل .
هي الغرض الأقصى وإن لم يكن بها ... صديق ولم يصف الوداد خليل .
وكم قائل في الأرض للحر مذهب ... إذا جار دهر واستحال ملول .
وهل نافعي أن المياه سوافح ... عذاب ولم ينقع بهن غليل .
فقدت الصبي والأهل والدار والهوى ... فيا صبري إنه لجميل .
ووالله ما فارقتها عن ملالةٍ ... سواي عن العهد القديم يحول .
ولكن أبت أن تحمل الضيم همتي ... ونفس لها فوق السماك حلول .
فإن الفتى يلقي المنايا مكرماً ... ويكره طول العمر وهو ذليل .
تعاف الورود الحائمات مع الأذى ... وللقيظ في أكبادهن صليل .
كذلك ألقى ابن الأشج بنفسه ... ولم يرض عمراً في الإسار يطول .
سألثم إن وافيتها ذلك الثرى ... وهيهات حالت دون ذاك حؤول .
وملتطم الأمواج جون كأنه ... دجى الليل نائي الشاطئين مهول .
يعاندني صرف الزمان كأنما ... علي لأحداث الزمان ذحول